

عمر أذن لك النبي ﷺ وكان ﷺ يحب المشى إلى الشفاعات مع قدرته على قضاء الحاجة بقلبه ويقول: إن الحدث ورد فيمن مشى في قضاء الحاجة بقلبه ويقول: إن الحديث ورد فيمن مشى في قضاء الحاجة لا فيمن قضيتها بقلبه، ولما أرسل السلطان جقمق تجريدة خلف بن عمر أمير الصعيد جاءوا به في الحديد فعثر حمار بياع فجعل من فقراء سيدى محمد في الصعيد فقال يا سيدى محمد يا غمرى فسمعه ابن عمر فقال من هذا فقال شخى فقال وأنا الآخر أقول يا سيدى محمد يا غمرى لاحظنى فسمعه سيدى محمد وهو في المحلة قال الحاكي لى الشيخ شهاب الدين بن النخال فطلب ﷺ ثلاث حمير وقال اركبوا فركبنا مع الشيخ وسافرنا إلى القاهرة فجلس الشيخ تحت قبة السلطان حسن لحظة وإذا بابن عمر طالعون به في الحديد إلى القلعة فقال لابن النخال اطلع خلف هذا الرجل فإذا رايت السلطان اغلظ عليه وأمر بإتلافه فضع إصبعك السبابة على الإبهام وتحامل عليه فإن كل من فى الموكب تضيق نفسه ويخفق حتى السلطان فلما طلع ورآه اغلظ عليه السلطان فصنع ما أمره الشيخ فصاح السلطان اطلقوه واخلعوا عليه فتلطح جماعة بالزعرفران فنزل ابن النخال فاخبر الشيخ فقال اركبوا قضيت الحاجة ولم يكن احد يعلم ابن عمر بالواقعة ولا بمجنى الشيخ ورجع إلى المحلة وقال للعاملة مع الله تعالى وما مع احد منكم دستور يتكلم بذلك حتى اموت قال لى ابن النخال فما اخبرت بها احداً قبلك. مات ﷺ سنة نيف وخمسين وثمانمائة ودفن بجامع المحلة ﷺ .

٣٢٥- ومنهم سيدنا ومولانا شمس الدين الحنفى رضى الله تعالى عنه ورحمه :

كان ﷺ من اجلاء مشايخ مصر وسادات العارفين صاحب الكرامات الظاهرة والأفعال الفاخرة والأحوال الخارقة والمقامات السنية والهمم العلية احب الفتح المؤنق والكشف المخرق والتصدر فى مواطن القدس والرقى فى معارج المعارف والتعالى فى مراقى الحقائق، كان له الباع الطويل فى التصريف النافذ واليد البيضاء فى احكام الولاية والقدم الراسخ فى درجات النهاية والطود السامى فى الثبات والتمكين وهو احد من ملك اسراره وقهر احواله وغلب على امره وهو احد اركان هذه الطريق وصدور اوتادها واكابر ائمتها واعيان علمائها وعملاً وحالاً وقالاً وزهداً وتحقيقاً ومهابة، وهو احد من اظهره الله تعالى إلى الوجود وصرفه فى الكون ومكنه فى الأحوال وانطقه بالمغيبات وخرق له العوائد وقلب له الأعيان واظهر على يديه العجائب وأجرى على

لسانه الفوائد ونصبه قدوة للطالبين حتى تلمذ له جماعة من اهل الطريق وانتمى إليه خلق من الصلحاء والأولياء واعترفوا بفضلته واقروا بمكانته وقصد بالزيارات من سائر الأقطار وحل مشكلات احوال القوم وكان ﷺ ظريفاً جميلاً فى بدنه وثيابه وكان الغالب عليه شهود الجمال ﷺ وكان ﷺ من ذرية أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه . توفى ﷺ سنة سبع وأربعين وثمانمائة ﷺ .

وقد أفرد الناس ترجمته بالتأليف منهم الشيخ نور الدين على بن عمر البتنونى ﷺ وهو مجلدان، والحق انه لم يحط علماً بمقام الشيخ ﷺ حتى يتكلم عليه إنما ذكر بعض أمور على طريقة ارباب التواريخ وأهل الطبقات بل لو رام الولى نفسه ان يتكلم على مقام نفسه لا يقدر كما هو مقرر فى كلام أصحاب الدوائر الكبرى والله اعلم، ولكن نذكر لك طرفاً صالحاً مما ذكره الإمام البتنونى لتحيط به علماً فنقول وبالله التوفيق .

اعلم انه ﷺ ربي يتيماً من امه وابيه فربته خالته فكان زوجها يريد ان يعلمه الصنعة فمضى به إلى الغرابلى فهرب إلى الكتاب ثم مضى به إلى المناخلى فهرب إلى الكتاب فكف عنه فحفظ القرآن وكان ابن حجر رفيقه فى الكتاب قال الشيخ ابو العباس السرسى ولما خرج الشيخ محمد الحنفى من الكتاب جلس يبيع الكتب فى سوقها فمر عليه بعض الرجال فقال يا محمد ما للدنيا خلقت فنزل من الدكان وترك جميع ما فيه من الغلة والكتب ولم يسأل عن ذلك بعد ثم حبيب إليه الخلوة ثم اختلى سبع سنين لم يخرج فى خلوة تحت الأرض ودخلها وهو ابن أربع عشرة سنة .

وكان ﷺ يقول: إياكم وكرامات الأولياء ان تنكروها فإنها ثابتة بالكتاب والسنة ونقض العادة على سبيل الكرامة لأهل الولاية جائز عند اهل السنة والجماعة.

وقد دعا الإمام ابو حنيفة ﷺ يوماً فنزلت عليه مائدة من السماء من حيث لا يعلم، قال الشيخ ابو العباس وكنت إذا جننته وهو فى الخلوة اقف على بابها فغن قال لى ادخل دخلت وإن سكت رجعت فدخلت عليه يوماً بلا استئذان فوقع بصرى على اسد عظيم فغشى عليه فلما افقت خرجت واستغفرت الله تعالى من الدخول عليه بلا إذن قال الشيخ ابو العباس ﷺ ولم يخرج الشيخ ﷺ من تلك الخلوة حتى سمع هاتفاً يقول: يا محمد اخرج انفع الناس ثلاث مرات وقال له فى الثالثة عن لم تخرج والآهية

فقال الشيخ فما بعد هيه إلا القطيعة قال الشيخ فقمتم وخرجت إلى الزاوية فرأيت على الفسقية جماعة يتوضئون فمنهم من على راسه عمامة صفراء ومنهم زرقاء ومنهم من وجهه وجه قرد ومنهم من وجهه خنزير ومنهم من وجهه كالقمر فعلمت أن الله أطلعني على عواقب أمور هؤلاء الناس فرجعت إلى خلفي وتوجهت إلى الله تعالى فستر عني ما كشف لي من أحوال الناس وصرت كآحاد الناس.

وكان في خلوة الشيخ توتة مزروعة قال الشيخ رضى الله عنه فخطر لي أن أبسطها فقلت يا توتة حدثيني حدوثه فقالت بصوت جهورى نعم إنهم لما زرعوني سقوني فلما سقوني أسست فلما أسست فرعت فلما فرعت أورقت فلما أورقت أثمرت فلما أثمرت اطعمت قال الشيخ ﷺ فكان كلامها سلوكاً لي وقد حصل لي بحمد الله ما قالت التوتة وكان ﷺ يجلس يعظ الناس على غير موعد فيجئ الناس حتى يملئوا زاويته بقدره الله عز وجل.

وكان الشيخ حسن الخباز الدفون بترية الشاذلية بالقرافة ﷺ إذا رأى سيدى محمداً وهو صغير يقول: سيكون لهذا الولد شأن عظيم في مصر ثم يقول: وأخبرني بذلك أيضاً ابن اللبان عن ابن عطاء الله عن ياقوت العرشى عن أبى العباس المرسي عن أبى الحسن الشاذلى ﷺ أنه كان يقول: سيظهر بمصر رجل يعرف بمحمد الحنفى يكون فاتحاً لهذا البيت ويشتهر في زمانه ويكون له شأن عظيم.

وفى رواية أخرى عن الشاذلى ﷺ يظهر بمصر شاب يعرف بالشاب التائب حنفى المذهب اسمه محمد بن حسن وعلى خده الأيمن خال وهو أبيض اللون مشرب بحمرة وفى عينيه حور ويربى يتيماً فقيراً، أخذ ﷺ الطريق بعد أن خرج من الخلوة عن الشيخ ناصر الدين بن الملق عن جده الشيخ شهاب الدين بن الملق عن الشيخ ياقوت العرشى عن المرسي عن الشاذلى فلذلك كان سيدى أبو الحسن يقول: الحنفى خامس خليفة من بعدى قال أبو العباس ﷺ وكان سيدى محمد ﷺ يأمر من يراه من أصحابه عنده شهامة نفس بالشحاة من الأسواق وغيرها حتى تنكسر النفس ويقول: رحم الله من ساعد شيخه على نفسه .

وكان ﷺ يقول: ظفرت في زمانى كله بصاحبين ونصف صاحب، فأما الصاحبان فهما أبو العباس المرسي والشيخ شمس الدين ابن كتيلة المحلى، أما الأول

فإنه انفق على جميع ماله وأما الثاني فإنه تمسك بطريقتي واتبع سنتي وأما نصف
الصاحب فهو صهرى سيدى عمر قال أبو العباس ؑ قال لى سيدى محمد يوماً أما
ترضى أن تكون بدايتى نهايتك فقلت نعم .

وكان سيدى على بن وفا ؑ يوماً فى وليمة فقال الناس ما تتم الوليمة إلا
بحضور سيدى محمد الحنفى فجاء إليه صاحب الوليمة فدعاه فأتى فقال من هنا من
الشايف؟ فقال سيدى على بن وفا وجماعته فقال ادخل واستاذنه لى فإن من ادب
الفقراء إذا كان هناك رجل كبير لا يدخل عليه حتى يستأذن له فإن أذن وإلا رجعنا
خوف السلب فدخل صاحب الوليمة فاستأذن له فأنن له سيدى على وقام له واجلسه
إلى جانبه فدار الكلام بينهما فقال سيدى على ما تقول فى رجل رعى الوجود بيده
يدورها كيف شاء فقال له سيدى محمد ؑ فما تقول فيمن تضع يده عليها فيمنعها
أن تدور فقال له سيدى على والله كنا نتركها لك ونذهب عنها^(١) فقال سيدى محمد
لجماعة سيدى على ودعوا صاحبكم فإنه ينتقل قريباً إلى الله تعالى فكان الأمر
كما قال .

وسمع سيدى محمد ؑ هاتفاً يقول: بالليل يا محمد وليناك ما كان بيد على
بن وفا زيادة على ما بيدك فعلمت أن ذلك لا يكون إلا بعد موته فأرسلت شخصاً من
الفقراء يسأل عن بيت سيدى على بحارة عبد الباسط فوجد الصائح أنه قد مات.

قال الشيخ شمس الدين بن كتيلة ؑ وأول شهرة اشتهر بها الشيخ محمد
الحنفى ؑ أن السلطان فرج بن برقوق كان يرمى الرمايا على الناس وكان الشيخ
يعارضه فأرسل وراء الشيخ وأغلظ عليه القول وقال للملكة لى أو لك فقال له الشيخ ؑ
لا لى ولا لك الملكة لله الواحد القهار ثم قام الشيخ متغير الخاطر فحصل للسلطان عقب
ذلك ورم فى محاشمه كاد يهلك منه فأرسل خلف الأطباء فعجزوا فقال له بعض
خواصه العقلاء هذا من تغير خاطر الشيخ محمد الحنفى فقال أرسلوا خلفه لأطيب
خاطره فنزل الأمراء إليه فوجوده خارج مصر نواحي للطرية فأخبروه بطلب السلطان
له فلم يجب إلى الاجتماع به فلم يزلوا يترددون بينه وبين السلطان حتى رق له وأرسل
له رغيفاً مبسوساً بزيت طيب وقال لهم قولوا له كل هذا تبراً ولا تعد إلى قلة الآداب

(١) يقول، الله تعالى ، (وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً وما تدرى نفس باى أرض تموت) وما ورد بهالبيه
يتعارض مع قول الله سبحانه وتعالى.

نماخ اذناك فمن ذلك اليوم اشتهر أمر الشيخ ﷺ للناس وصار الناس إذا لام بعضهم بعضاً غلبى أمر لم يفعله يقول: له يعنى ينغاز الحنفى وشاعت هذه الكلمة بين الناس إلى الآن.

وكان سيدى الشيخ إسماعيل نجل سيدى محمد الحنفى ﷺ يقول: إن الشيخ ﷺ أقام فى درجة القطبانية ستة واربعين سنة وثلاثة أشهر وإياماً وهو القطب الغوث الفرد الجامع هذه المدة.

وكان ﷺ يقول: من الفقراء من يسلك على يد رجل وينفطم على يد غيره لموت الشيخ الأول او غير ذلك وكان شيخ شيخه الشيخ شهاب الدين بن الملقى رحمه الله تعالى يكتب بكل مدة قلم كراساً كاملاً فسمع بذلك الناس بتعجبوا من ذلك واستبعدوا وقوعه فأمر الشيخ محمد الحنفى ﷺ بعض مرديه أن يكتب بكل مدة كراسين فكتب والناس ينظرون .

وكان ﷺ يقول: كان الشيخ ياقوت ﷺ يقول: يا دهشتى يا حيرتى يا حرف لا يقرأ .

وكان يقول: وجدت مقام سيدى أبى الحسن الشاذلى ﷺ أعلى من مقام سيدى عبد القادر الكيلانى ﷺ ثم قال وسبب ذلك أن سيدى عبد القادر سئل يوماً عن شيخه فقال اما فيما مضى فكان شيخى حمادا الدباس واما الآن فإنى أسقى من بن بحرين بحر النبوة وبحر الفتوة يعنى ببحر الفتوة على بن أبى طالب ﷺ واما سيدى أبو الحسن ﷺ فقليل له من شيخك ؟ فقال اما فيما مضى فكان شيخى سيدى عبد السلام بن مشيش واما الآن فإنى أسقى من عشرة أبحر خمسة سماوية وخمسة ارضية كما تقدم فى ترجمته.

وكان ﷺ يتكلم على خواطر القوم ويخاطب كل واحد من الناس بشرح حاله وقال له رجل بلغنا عن الشيخ عبد القادر الكيلانى ﷺ أنه عمل يوماً ميعاداً سكوتياً لأصحابه ومرادنا ان تعملوا لنا ذلك فقال نفعل ذلك غداً إن شاء الله تعالى فجلس على الكرسى وتكلم بغير صوت ولا حرف سراً فأخذ كل من الحاضرين مشروبه وصار كل واحد يقول: القى إلى فى قلبى كذا وكذا فيقول: له الشيخ صدقت فحصل الاتعاظ لكل واحد وكان ذلك من الكرامات.

وكان إذا حضر أحد من النكرين معياده يصير النكر يضطرب وينتفض ويتقلب في الأرض ويقول: والله ما هذا سدى ثم يصحبه. وجاءه شخص فقال يا سيدى ادع الله أن يرزقنى شيئاً من محبته فقال ﷺ لا أقول لك مثل ما قاله بعض العارفين رضى الله لما سألته ذلك عنى كتفك ولكن أقول لك احضر الميعاد فحضر يوماً فالقى الشيخ عليه بعض مسائل من دلائل محبة الله تعالى فغشى على الرجل وحمل مغشياً عليه فمكث ثمانية أيام لا يعنى شيئاً ثم مات فصلى عليه الشيخ ﷺ وقال صلوا على شهيد الحبة ودفنه فى القرافة، وكان ﷺ يلبس للابس للثمنة الفاخرة فانكر عليه بعض من لا معرفة عنده بأحوال الأولياء وقال بعيد أن يكون الأولياء يلبسون هذه الملابس التى لا تليق إلا بالملوك ثم قال إن كان الشيخ ولياً يعطينى هذا السلاوى أبيعته وانفقه على عيالى فلما فرغ الشيخ ﷺ من الميعاد نزرعه ثم قال اعطوه لفلان يبيعه وينفق ثمنه على عياله فأخذه الرجل وصار يقول: شئ لله المدد ثم جاء الميعاد الثانى فوجده على الشيخ اشتراه بعض المحبين وقال هذا لا يصح إلا للشيخ محمد الحنفى فأهداها له .

وكان ﷺ لا ترد له شفاعة وكان يشفع عند من يعرفه وعند من لا يعرفه. وقد ذكر شيخ الإسلام العيني فى تاريخه الكبير والله ما سمعنا ولا رأينا فيما حوينا من كتبنا وكتب غيرنا ولا فيما اطلعنا عليه من اخبار الشيوخ والعباد والأستاذين بعد الصحابة إلى يومنا هذا ان أحداً أعطى من العز والرفعة والكلمة النافذة والشفاعة المقبولة عند الملوك والأمراء وأرباب الدولة والوزراء عند من يعرفه وعند من لا يعرفه مثل ما أعطى الشيخ سيدى شمس الدين الحنفى ثم قال وأبلغ من ذلك أنه لو طلب السلطان أن ينزل عليه خاضعاً حتى يجلس بين يديه ويقبل يديه لكان ذلك اليوم أحب الأيام عليه وفى مناقب الشيخ عبد القادر الجلى ﷺ أن الخليفة قصد يوماً زيارته فلما قرب من زاويته قام سيدى عبد القادر من مجلسه ودخل خلوته ووقف خلف الباب فلما دخل الخليفة خرج إليه فسلم عليه وجلس.

وكان ذلك من سيدى عبد القادر ﷺ تعظيماً للخرقه والطريق حتى أنه لا يقوم للخليفة وكان سيدى الشيخ شمس الدين الحنفى لم يقم قط لأحد من الملوك ولا من الأمراء ولا من القضاة الأربيع ولا غيرهم ولم يغير قط قعدته لدخول أحد منهم وكان هؤلاء إذا دخل أحد منهم لا يستطيع أن يجلس إلى جانبه ولا يتربع بين يديه

بل جالس جاثياً على ركبتيه متادباً خاضعاً ولا يلتفت يمينا ولا شمالاً وكان الملك الظاهر جقمق سينا الاعتقاد في طائفة الفقراء وكان يكره سيدي محمداً ومع ذلك كان يرسل له في الشفاعات فيقضيها ويقول لمن حوله كلما اقول انى لا اقبل لهذا الرجل شفاعاة لا استطع بل اقبل شفاعته واتعجب في نفسى من ذلك ونزل عليه الملك المؤيد فجاء إلى الزاوية فوجد الشيخ فوق سطح البيت فطلع إليه سيدي ابو العباس واخبره فقال قل له قال إنه ما يجتمع بأحد في هذا الوقت فوضع السلطان يده على رأسه ورجع إلى القلعة ولم يتغير من الشيخ إجلالاً له .

وارسل إليه الأمير بيسق بشكارة فضة فوجده على الكرسي فصار يقبض منها ويرمى للناس حتى افناها كلها بحضرة القاصد كأنه يريه أن الفقراء في غنية عن ذلك وانهم لو احبوا الدنيا ما كان لهم هذا المقام بين الناس ثم إن الأمر بلغه ما وقع فجاء إلى الشيخ فقبل يديه فقال له الشيخ قم إلى هذا البئر فاملأ منه هذه الفسقية للوضوء فيصير ثواب ذلك في صحيفتك إلى يوم القيامة فخلع الأمير ثيابه وملاً دلواً فوجده ثقيلاً فعالجه حتى طلع به فوجده ذهباً فقال ذلك للشيخ فقال صبه في البئر واملأ فملأه كذلك ثانياً وثالثاً فقال قل للبئر ما لنا حاجة إلا بالماء فاستحقر الأمير ما كان أرسله للشيخ وطلب الفقراء بالوعة للميضاة فغرز الشيخ عكازه وقال هذه بالوعة فهي إلى الآن ينزل فيها ماء الوضوء ولا يعرفون إلى أين يذهب.

وكان أمير كبير يسمى بططر عند الملك المؤيد كلما يجى يزور الشيخ يقوم بخلع ثيابه ويملاً الفسقية للناس بنفسه ويعود ويلبس ثيابه وتخفيفته ولما تسلطن بعد الملك أحمد بن المؤيد كان ينزل إلى زيارة الشيخ كل يوم أو ثلاثة لا يستطيع أن يتخلف عنه فيقول: له الشيخ إنك صرت سلطاناً فالزم القلعة فيقول: لا أستطيع وكان يقول للشيخ لا تقطع شفاعتك عنا ولو كان كل يوم ألف شفاعاة قبلناها، ولما عزل شيخ الإسلام ابن حجر أرسل الشيخ جاريته بركة إلى السلطان ططر وقال لها قولى له رد الشيخ شهاب الدين إلى ولايته فطلعت إليه بركة وقالت له ذلك فكتب لها من الحال مرسوماً بولاية شيخ الإسلام ابن حجر وأرسل له خلعه فكان ابن حجر رحمه الله لا ينسى ذلك للشيخ وطلع الشيخ ﷺ مرة للسلطان ططر يعوده من مرض فتسامع الناس أن الشيخ ﷺ طلع للسلطان فترادف عليه أصحاب الحوائج فأمر السلطان أن لا يرد ذلك اليوم قضية وسال الشيخ أن يعلم الناس على قضاياهم فعلم على خمسة وثلاثين

قضية فلما اراد الشيخ النزول اخرج السلطان له فرساً بسرج مغرق وكنبوشاً وامر بالقبة والطير ان يكونوا على راس الشيخ وامر الامراء ان يركبوا معه الى الزاوية ففعلوا ذلك وكانت القبة والطير مع امير كبير يقال له برسباى الدقماق ثم تولى بعد ذلك المملكة فكان هو الملك الأشرف برسباى وكان يراعى خاطر الشيخ ويخاف منه مدة مملكته إلى ان توفى رحمه الله تعالى.

وجاء مرة قاض من المالكية يريد امتحان الشيخ فاعلموا الشيخ انه جاء ممتحناً فقال الشيخ ﷺ ان استطاع يسألنى ما عدت أقعد على سجادة الفقراء فلما جاء القاضى يسأل قال ما تقول فى وتوقف فقال له الشيخ ﷺ نعم فقال ما تقول فى وتوقف فقال له الشيخ ﷺ نعم فقال ما تقول فى وتوقف فقال له الشيخ ﷺ نعم فقال ما تقول فى وتوقف فقال له الشيخ ﷺ نعم حتى قال ذلك مراراً عديدة فلم يفتح عليه بشئ فقال القاضى كنت اريد ان اسأل عن سؤال وقد نسيتَه ثم كشف راسه واستغفر واخذ عليه العهد بعدم الإنكار على الفقراء والاعتراض عليهم.

وتكلم على الكرسى فى جامع الطرينى بالحلة الكبرى يوماً فى معنى قولهم يا فقيه فق فاقه يا صريم الناقة قلت له قم صل قام جرى فى الطاقة حتى أبكى الناس وزعق بعضهم وتخبط عقل بعضهم وكان من جملة ما قال معنى فق اى على ابناء جنسك فاقه اى ولو مرة وقولهم يا صريم الناقة اى يا زمام الناقة التى هى مطية المؤمن التى بها يبلغ الخير وينجو من الشر وقولهم قم صل قام جرى فى الطاقة فمعناه انه امر بالصلاة فقط فزاد على ذلك طاقته من الأذكار والصيام والقيام وجد فى الاجتهاد والطاعات، ومعنى جرى فى الطاقة اى اسرع وبادر وفعل ما امر به وزاد فى الطاعة جهد الاستطاعة التى هى الطاقة وليس المراد بها الكوة المثقوبة فى الحائط.

وكان سيدى ابو بكر الطرينى رحمه الله اول ما يدخل القاهرة يبدأ بزيارة سيدى محمد الحنفى ﷺ لا يقدم عليه احداً. وقدم سيدى ابو بكر طعاماً خبيزة للشيخ حين قدم المحلة فقال له الشيخ يا ابا بكر هل اذن لك اصحاب الغيظ ان تاخذ من خبيزتهم قال لا فلم ياكلها الشيخ وكذلك ابو بكر إلى انا مات، وكان ﷺ إذا نادى مريداً له فى أقصى بلاد الريف من القاهرة يجيبه فإن قال مسرعاً تعال سافر إليه او افعل كذا فعله ونادى يوماً ابا طاقية من بلد قطور بالغربية فسمع نداء الشيخ فجاء إلى القاهرة وكان هذا الشيخ من ارباب الإشارات فسمع ببيع الحمص الأخضر يقول: يا

ملانة بفليس يا ملانة بفليس فمضى خلفه وصار يقول فى نفسه ملانة وهى بفليس ثم صار يقول للبياع يا ملانة بقلبين يا ملانة بقلبين فقال ما صيرها رخيصة إلا كونها بقلبين ثم رجع وكان سبب تسميته ابا طاقية ان سيدى محمداً رشى الله عنه قال له اخلع عمامتك وخمر هذا الطين ففعل فقيل له لما فرغ لم لا تلبس عمامتك فقال لم يقل لى الشيخ فإذا فرغت فالبسها فلا البسها إلا إن قال لى فلم يقل له الشيخ فاقام بقية عمره بطاقية حتى مات .

وركب مرة إلى الروضة على حمار مكار فاعطاه إنسان عشرين ديناراً فقال اعطها للمكارى فاعطاها له وكان إذا دخل الحمام وحلق رأسه تقاتل الناس على شعره يتركون به ويجعلونه ذخيرة عندهم وكان ﷺ يجمع الفقراء ودخل بهم الحمام جبراً لخاطرهم وإشارة لتنظيفهم الباطن وكان للشيخ بلان فاسافر إلى بلاد المغرب فعرف أنه كان بلاناً لسيدى محمد الحنفى فصار الناس يأخذون يده يقبلونها ويقولون هذه يد مست جسد الشيخ فبلغ ذلك مولاي ابا فارس سلطان تونس فأرسل وراءه وقبل يده ووضعها على مواضع من جسده يتبرك بها ثم أرسل وكيله إلى مصر لياخذ له العهد بطريق الوكالة فاخذ عليه العهد وأمره ان يأخذ العهد على السلطان إذا رجع.

وكان اهل المغرب يرسلون يأخذون من تراب زاويته ويجعلونه فى ورق المصاحف^(١)، وكان اهل الروم يكتبون اسمه على ابواب دورهم يتبركون به ووقع لإمام زاويته أنه خرج للصلاة فرأى فى طريقه امرأة جميلة فنظر إليها فلما دخل الزاوية أمر الشيخ غيره ان يصلى فلما جاء الوقت الثانى فعل كذلك إلى خمسة اوقات فلما وقع فى قلبه ان الشيخ اطلعه الله على تلك النظرة إستخفر وتاب فقال الشيخ ما كل مرة تسلم الجرة، ودخل مصر رجل من اولياء الله تعالى من غير استئذان سيدى محمد فسلب حاله فاستغفر الله ثم جاء إلى الشيخ فرد عليه حاله وذلك أنه كان معه قفة يضع يده فيها فيخرج كل ما احتاج إليه فصار يضع يده فلا يجد شيئاً .

وكان ﷺ يقول: والله لقد مرت بنا القطبية ونحن شباب فلم نلتفت إليها دون الله عز وجل.

(١) هذه إهانة للمصاحف الشريفة لا يصح فعلها.

وكان يقول: إن القطب إذا تقطب يحمل هموم أهل الدنيا كلها كالسلطان الأعظم بل أعظم وكان يتطور في بعض الأوقات حتى يملأ الخلوة بجميع أركانها ثم يصغر قليلاً قليلاً حتى يعود إلى حالته للعهودة ولما علم الناس بذلك سد الطاق التي كانت تشرف على الخلوة ﷺ وكان إذا تغيظ من شخص يتمزق كل ممزق ولو كان مستنداً لأكبر الأولياء فقال سيدي محمد مزقنا ابن التمار كل ممزق ولو كان معه ألف بسطامي ثم أرسل السلطان فهدم دار ابن التمار وهي خراب إلى الآن . وعزم بعض الأمراء على سيدي محمد ووضع له طعاماً في إناء مسموم وقدمه للشيخ وكان لا يتجرأ أحد يأكل معه في إناء فأكل منه الشيخ شيئاً ثم شعر بأنه مسموم فقام وركب إلى زاويته فاختلعت الأواني فجاء ولد الأمير الاثنان فعلقا من إناء الشيخ فماتا ولم يضر الشيخ شيء من السم .

وكان إذا سأله أحد من المنكرين عن مسألة أجابه فإن سأله عن أخرى أجابه حتى يكون المنكر هو التارك للسؤال فيقول: الشيخ ﷺ لذلك الشخص أما تسأل فلو سألتني شيئاً لم يكن عندي أجبتك مما علمني الله .

وحضره الشيخ جلال الدين البلقيني ﷺ يوماً في اليبعاد فسمع تفسير الشيخ ﷺ للقرآن فقال والله لقد طالعت أربعين تفسيراً للقرآن ما رأيت فيها شيئاً من هذا الفوائد التي ذكرها سيدي الشيخ محمد، وكذلك كان يحضره شيخ الإسلام البلقيني وشيخ الإسلام العيني الحنفي وشيخ الإسلام البساطي للملكي وغيرهم وقبله الشيخ سراج الدين البلقيني رحمه الله بين عينيه وقال له أنت تعيش زماناً طويلاً لأن الله تعالى يقول: ﴿وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾^(١) وكان إذا استغرق في الكلام وخرج عن أفهام الناس قول: وههنا كلام لو أبديناها لكم لخرجتم مجانين لكن نطويه عن ليس من أهله، وكان له صاحب في مكة المشرفة فلما بلغه وفاة الشيخ ﷺ سافر إلى مصر لزيارة قبر الشيخ ولم يكن له في مصر حاجة غير ذلك.

وجاءه رجل فقال يا سيدي أنا ذو عيال فقير الحال فعلمني الكيمياء فقال الشيخ ﷺ أقم عندنا سنة كاملة بشرط أنك كلما أحدثت توضات وصليت ركعتين، فأقام على ذلك فلما بقي من اللدة يوم جاء إلى الشيخ فقال له غداً تقضى حاجتك، فلما جاءه

(١) سورة الرعد ، الآية ١٧ .

قال له: قم فاملأ من البئر من ماء للوضوء، فملأ دلواً من البئر فإذا هو مملوء ذهباً، فقال يا سيدى ما بقى فى الآن شعرة واحدة تشتهييه فقال له الشيخ صبه مكانه اذهب إلى بلدك فإنك قد صرت كلك كيمياء، فرجع إلى بلاده ودعا الناس إلى الله تعالى وحصل به نفع كبير قال الشيخ شمس الدين بن كتيلة رحمته الله وكان سيدى محمد رحمته الله إذا صلى يصلى عن يمينه دائماً أربعة روحانية وأربعة جسمانية لا يراهم إلا سيدى محمد أو خواص أصحابه، ووقعت له ابنة صغيرة من موضع عال فظهر شخص وتلقاها على الأرض فقلنا له من تكون؟ فقال من الجن من أصحاب الشيخ وقد أخذ علينا العهد أن لا نضر أحداً من اولاده إلى سابع بطن فنحن لا نخالف عهده، وكان سكان بحر النيل يطلعون إلى زيارته وهو فى داره بالروضة والحاضرون ينظرون قالت ابنته أم المحاسن رحمته الله وزاروه مرة وعليهم الطيالة والثياب النظيفة وصلوا معه صلاة المغرب ثم نزلوا فى البحر بثيابهم فقلت يا سيدى أما تبتل ثيابهم من الماء فتبسم رحمته الله وقال هؤلاء مسكنهم فى البحر. ^(١)

وجاءه مرة رجل فى جوف الليل فوقف على دور القاعة فقال له الشيخ من فقال حرامى فقال له الشيخ ما تسرق وتعمل شغلك فقال يا سيدى تبت إلى الله فإنى سمريت فقال له الشيخ انزل ما علك بأس فتاب وحسنت توبته واستمر فى زاوية الشيخ إلى أن توفى إلى رحمة الله تعالى وأمر شخصاً من أصحابه يوماً ينادى فى شوارع القاهرة واسواقها بأعلى صوته يا معشر المسلمين يقول: لكم سيدى محمد الحنفى رحمته الله حافظوا على الصلوات الخمس والصلوات الوسطى حتى شاع ذلك فى جميع البلاد أن الشيخ أمر بذلك، فاعترض بعض اليهود على منادى الشيخ وقال هذا ما هو للحنفى هذا الله عز وجل .

وكان رحمته الله يقول: كنا نقرا حزب سيدى أبى الحسن الشاذلى رحمته الله فكان بعض الناس يسطيله فالفقت الحزب الذى بين أصحابى الآن واخفته ولم اظهره حتى جاء الإذن من سيدى أبى الحسن الشاذلى رحمته الله أدباً معه. ولعن شخص إبليس فى حضرته فقال له لا تعود لسانك إلا خيراً ولو كان ذلك جائزاً، ولما تزوج الشيخ شمس الدين بن كتلة رحمته الله بنت سيدى محمد رحمته الله جلسا يأكلان لجاعت هرة فخطفت قطعة لحم فقال

(١) هذه روايات ليس لها دليل .

الشيخ ﷺ لعنك الله فقالت بنت الشيخ رحمة الله تذكر اللعنة على لسانك وأنت رجل يقتدى بك وتفتى المسلمين فقال الشيخ ﷺ لا أعود لمثلها وتاب من كل لفظ قبيح .
وكان ﷺ يقول: أول ما تنزل الرحمة على حلق الذكر ثم تنشر على الجماعة فكان الفقراء يمدون أيديهم في الحلقة لعل أن يصيبهم شيء من الرحمة. وسمع ﷺ يوماً امرأة تقول ما أحسن السجود في السماء بين الملائكة فقال لها محبة الله خير من ذلك وكان ﷺ يأمر أصحابه برفع الصوت بالذكر في الأسواق والشوارع والمواضع الخربة المهجورة ويقول: اذكروا الله تعالى في هذه الأماكن حتى تصير تشهد لكم يوم القيامة وتحرقوا ناموس طبع النفس فإنكم في حجاب ما لم تحرقوه وكان أصحابه إذا سأله أن يمضى بهم إلى موضع التنزهات يقول: حتى تحضر لنا نية صالحة. ودعا ابن البارزى كاتب السر على أيام الملك المؤيد إلى وليمة وقال عن الأئمة الأربعة قد طلبوكم فلان وفلان فقال الشيخ ﷺ للقاصد قال له حرر النية في حضور الفقراء وهم يحضرون ولا تطلب حضورهم لأجل أن تقول حضر عندنا في الوليمة فلان وفلان وتجعلوا الفقراء حكاية ثم قال ﷺ ما وطن حافر فرسى باب أحد على هذا الوجه إلا وخبرت دياره فرجع القاصد وأخبر بذلك فسكت ولم يزل ممقوتاً عند المؤيد حتى قتله كما تقدم.

وسأله شخص يوماً عن العلاج فقال العلاج تكلم في حال غلبة هذا قولى أنا لكن ثم من يقول: فيه خلاف قولنا كسراج الدين البلقينى وغيره. وكان ﷺ إذا عطش وطلب كوز الماء للشرب يقوم كل من في المجلس من كبير أو أمير أو قاض فلم يزلوا واقفين حتى يفرغ فيستأننون في الجلوس فيأذن لهم . وكانت ملوك أقاليم الأرض ترسل له الهدايا فيقلبها فأرسل إليه ملك الروم دابة تمشى على ثلاث قوائم مؤخرها على رجلين وصدرها على واحدة وكانت قدر الجدى الصغير فأقامت عنده ستة أشهر وماتت، وأهدى له سلطان تونس الخضراء مشطاً لتسريح اللحية فإذا فردوه صار كرسياً لمصحف فأهداه الشيخ ﷺ إلى الملك الأشرف برسباى ففرح به وأعجبه وأهدى له ملك الهند ثوباً بعلبكياً في قصبة وشاشا في جوزة هند، ودخل عليه مرة فقير فرأى عليه ثياباً لا تليق إلا بالملوك فقال يا سيدى طريقتكم هذه أختتموها عنم فإن من شأن الأولياء التقشف ولبس الخشن فقال ما مقصودك؟ قال انتزع يا سيدى هذه الثياب التى عليك وتلبس هذه الجبة ونذهب ماشيين إلى القرافة فأجابه الشيخ ﷺ

وخرجاً ماشين فرأى بعض الأمراء الشيخ عليه السلام فعرفه فنزل من على فرسه وخلع على الشيخ السلار الذى كان عليه وأقسم عليه بالله تعالى أن يقبله ورجع هو ومماليكه مع الشيخ عليه السلام حتى شيعوه للزاوية فقال الشيخ لذلك الفقير رايت يا ولدى ايش كنا نحن والله لولا أنت من اولاد الفقراء ما حصل لك خير فتاب ذلك الفقير واستغفر وكشف رأسه ولم يزل يخدم الشيخ إلى ان مات رحمه الله تعالى.

وكان عليه السلام لا يشتري قط ملبوساً إنما هو هدايا المحبين وكان عليه السلام إذا ركب يذكر الله تعالى بين يديه جماعة كطريقة مشايخ العجم ويقول: هو شعارنا فى الدنيا ويوم القيامة وكان يجعل من خلفه جماعة كذلك يذكرون الله تعالى بالنوبة فكان الناس إذا سمعوا حسهم من المساجد أو الدور يخرجون ينظرون إليه فيدعو لهم وكان إذا كتم احد شيئاً عنه من ماله يذهب ذلك المال الذى كتمه كله ولا يبقى معه إلا المال الذى يعترف به.

ودخل الحمام يوماً مع الفقراء فأخذ ماء من الحوض ورشه على أصحابه وقال النار التى يعذب الله بها العصاة من أمة محمد عليه السلام مثل هذا الماء فى سخونته^(١) ففرح الفقراء بذلك، وكان رضى الله تعالى عنه إذا زار القرافة سلم على أصحاب القبور فيردون السلام عليه بصوت يسمع من معه، ولما طلع فقراء الصعيد ومعهم الفرغل بن احمد عليه السلام فى شفاعة ابن عمر أمير الصعيد قال سيدى محمد الحنفى عليه السلام لا تقضى لهؤلاء حاجة لأنهم جاءوا بغير أدب ولم يستأذنوا صاحب هذا البلد فكان الأمر كما قال .

وسمع عليه السلام بعض الفقراء فى الزاوية يقول لبعض قم يا فلان اكنس الزاوية قال له قم أنت فما زالا يقول ان ذلك ساعة فخرج الشيخ عليه السلام وهو يقول: أنت وأنت أخرجنا واجلسا على باب الزاوية وامنعا الناس من الدخول وأنا أكنسها ففعلوا فخلع الشيخ ثيابه وشد وسطه وطوى الحصر ونقضها وكنسها وأفتح القرآن يتلوه من الفاتحة إلى آخر سورة الأنعام حتى فرغ من الكنس عليه السلام.

وكان أميراً كبيراً والمقدمون الألوفا هم الذين يمدون سماطه فى الملوك الكبير ودخل يوم فرأى الأمراء يبنون فى الكوانين فقال لا إله إلا الله لو أمرنا الملوك أن يبنوا

(١) هذا يخالف ما ورد بشأن النار فى كتاب الله .

الكوانين لفعولوا وكان شخص من التجار شديد الإنكار على سيدى محمد ﷺ حتى كان يجئ إلى باب الزاوية احياناً ويرفع صوته بالألفاظ القبيحة فى حق الشيخ فدار عليه الزمان وانكسر وركبته الديون فجاء إلى الشيخ ﷺ فتلقاه بالترحيب وجمع له من اصحابه مالا جزيلاً ولم يزل يعتقد الشيخ إلى ان مات ولم يعاتبه ﷺ وكان ﷺ يتنزه عن سماع المعارف وجميع آلات اللهو فدخل يوماً يزور سيدى عمر بن الفارض ﷺ فرأى المازرونى عمالاً والآلات تضرب فامرته بالسكوت حتى يزور فزار الشيخ ﷺ وعمل مجلس الذكر فلما خرج عاد المازرونى إلى حاله ولم يتعرض الشيخ لكسر آياته. وسمع مرة مدرساً من الحنفية يقول فى درسه الحكم كذا خلافاً للشافعى ﷺ فزجره وقال تقول خلافاً للشافعى بقله ادب لم لا تقول ﷺ وغلا رحمه الله فقال المدرس تبت إلى الله تعالى يا سيدى ، وكان إذا رأى ﷺ فى جبهة فقير اثر سجود يقول: يا ولدى اخاف عليك ان يكون هذا من الرياء، وذكروا يوماً عنده سيدى عبد القادر الجيلى ﷺ فقال لو حضر عندنا عبد القادر هنا لكان تادب معنا.

وكان ﷺ يقول: نحن أسرار الوجود وكان إذا وضع يده على الفرس الحرون لم يعد إلى حرونته وكان ﷺ يكره مشايخ القرى والمدركين للبلاد ويقول: أنا لا أقول بإسلامهم .

وكان يقول: من اعتقد شيخاً ولم يره كسيدى احمد البدوى وغيره لا يصير بذلك مريداً له إنما هو محب له فإن شيخ الإنسان هو الذى يأخذ عنه ويقتدى به .

وكان يكره للفقير لبس الطليحية ويقول: الفقر فى الباطن لا فى الظاهر وكان ﷺ إذا رأى من الفقراء والمجاورين عورة سترها عليهم ويصير يسارقهم بحيث لا يشعرون ويرغبهم فى ذلك الأمر الذى فيه صلاحهم وكان ﷺ يكره للفقير أن يكون عند شيخه ولا يشاوره فى أموره كلها ويقول: والله ما عرف الكيلانى وابن الرفاعى وغيرهما الطريق إلى الله تعالى إلا على يد شيخ وكم لعب الشيطان بعابد وقطعه عن الله عز وجل وكان إذا تشوش من فقير ظهر عليه المقت.

وكان يقول: الفقراء ما عندهم عصار يضربون بها من أساء الأدب فى حقهم وما عندهم إلا تغير خواطرهم، وسالوه مره ما تقول الساقية فى غنائها، قال تقول لا يرى ملان إلا طالعاً ولا فارغ إلا نازلاً.

وكان الفضة لا تنقطع من جيبه لأجل الفقراء فكان لا يقدم عليه فقير إلا وضع يده في جيبه واعطاه من غير عدد وكان الذي يلاحظه يقول: والله عطايا الشيخ أكثر من عطايا السلطان كل يوم وكان رضى الله تعالى عنه إذا ركب في شوارع مصر لا يلقاه امرأه أو كاتب سر أو ناظر خاص إلا ورجع معه إلى أى مكان أراد وتلقاه رجل اعجمى فأنشده.

نهاري نسيم كله إن تبسمت أوائله منها ببرد تحيتي

فقال الشيخ رحمه الله هذا الرجل كلما صلى الصبح وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم سمع رد السلام من النبي صلى الله عليه وسلم فيستنير النور ويقوى حتى يصير كأصيل النهار فكانه يقول: حصل لي اليوم الفتح، وسئل يوماً عن الصالح فقال هو من صلح لحضرة الله عز وجل ولا يصلح لحضرة الله عز وجل إلا من تخلى عن الكونين وسئل عن الولي فقال هو من قال لا إله إلا الله وقام بشروطها، شروطها أن يوالى الله ورسوله بمعنى أنه يواد الله بشهادته لو بالوحدانية ولحمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة .

وكان رحمه الله يقول: إذا مات الولي انقطع تصرفه في الكون من الإمداد وإن حصل مدد للزائر بعد الموت أو قضاء حاجة فهو من الله تعالى على يد القطب صاحب الوقت يعطى الزائر من المدد على قدر مقام المزور قال بعضهم للمزور في الحقيقة هو الصفات لا الذوات فإنها تبلى وتفنى والصفات باقية.

وكان الشيخ رحمه الله يخرج إلى قبر رجل كان أباراً فقيل له في ذلك فقال إنه كان يخبر عن رأس ماله في كل إبرة يبيعهها .

وكان يقول: قوموا لأهل العلوم الربانية فإن قيامكم في الحقيقة إنما هو لصفة الله تعالى التي أنار بها قلوب أوليائه وكان بالشيخ رحمه الله عدة أمراض كل مرض منها يهد الجبال منها البلغم الحار والبلغم البارد فاجتمع عنده الأطباء وقالوا إن النصف الأعلى قد تحكم منه الأسفل وإن داوينا الأسفل غلب عليه الأعلى فقال لهم خلوا بيني وبين الله تعالى يفعل بي ما يريد وأقام رحمه الله بذلك المرض سبع سنين ملازماً فرشاه ما سمعه أحد يقول: آه إلى أن توفي رحمه الله تعالى سنة سبع وأربعين وثمانمائة.

وكان مع وجود هذا البلاء العظيم يتوضأ للصلاة قبل دخول الوقت بخمس درج والأذكار والأحزاب تتلى حوله في كل صلاة ولا يصلح إلا مع جماعة، ولما دنت

وفاته بايام كان لا يغفل عن البكاء ليلاً ولا نهاراً وغلب عليه الذلة والسكنة والخضوع حتى سأل الله تعالى قبل موته ان يبتليه بالقمل والنوم مع الكلاب والموت على قارعة الطريق وحصل له ذلك قبل موته فتزايد عليه القمل حتى صار يمشى على فراشه ودخل له كلب فنام معه على الفراش ليلتين وشيناً ومات على طرف حوشه والناس يمرون عليه فى الشوارع وإنما تمنى ذلك لكون له أسوة بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام الذين ماتوا بالجوع والقمل وكان السيد عيسى عليه الصلاة والسلام يقول: والله إن النوم مع الكلاب لكثير على من يموت، ولما دنت وفاته قال لزوجته لا تتزوجى بعدى^(١) فمن تزوج بك خربت دياره، وأنا لا أحب أن تكونى سبباً لخراب دار احد ﷺ.

٣٢٦- ومنهم الشيخ مدين بن أحمد الأشمونى رضى الله تعالى عنه :

احد اصحاب سيدى الشيخ احمد الزاهد ﷺ ، كان من اكابر العارفين وانتهت إليه تربية المريدين فى مصر وقارها وتفرعت عنه السلسلة المتعلقة بطريقة ابي القاسم الجنيد ﷺ، قالوا وكان رضاعه على يد سيدى احمد الزاهد ﷺ وفضامه على يد سيدى الشيخ محمد الحنفى ﷺ السابق ذكره، فإنه لما توفى سيدى احمد الزاهد ﷺ جاء إلى سيدى محمد ﷺ وصحبه واقام عنده مدة فى زاويته مختلياً فى خلوة ثم إنه طلب من سيدى محمد إننا بالسفر إلى زيارة الصالحين بالشام وغيره فاعطاه الشيخ إننا فقام مدة طويلة سائحاً فى الأرض لزيارة الصالحين ثم رجع إلى مصر فاقام بها واشتهر وشاع امره وانتشر وقصده الناس واعتقدوه واخذوا عليه العهود وكثرت اصحابه فى إقليم مصر وغيرها.

ولما بلغ امره سيدى الشيخ ابا العباس السرسى خليفة سيدى محمد الحنفى ﷺ قال لا إله غلا الله ظهر مدين بعد هذه المدة الطويلة والله لقد اقام عند سيدى فى هذه الزاوية نحو الأربعين يوماً حتى كمل. قلت : هكذا رايتة فى آخر مناقب سيدى محمد الحنفى عند ذكر اصحابه الذين أخذوا عنه والمشهور بين جماعة سيدى مدين والغمرى وغيرهم ان فطام سيدى مدين ﷺ كان على يد سيدى احمد الزاهد فאלله اعلم بما كان، وهو من نرية سيدى ابي مدين المغربى التلمسانى ﷺ وحده الأدنى على المدفون بطبيلية بالمنوفية ووالده مدفون فى اشمون جريسان وكلهم اولياء

(١) لا يجوز شرعاً منع المرأة من الزواج بعد وفاة زوجها إلا نساء النبى - صلى الله عليه وسلم - حيث ورد بشأنهن المنع.